مجلة الذكوات البيض المحكمة
العدد ١٨ المجلد الأول

الذكوات البيض

اسم مشتق من الذكوة وهي الجمرة الملتهبة والمراد بالذكوات الربوات البيض الصغيرة المحيطة بمقام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب{عليه السلام}

شبهها لضيائها وتوهجها عند شروق الشمس عليها لما فيها موضع قبر علي بن أبي طالب {عليه السلام}

من الدراري المضيئة

{در النجف}فكأنها جمرات ملتهبة وهي المرتفع من الأرض، وهي ثلاثة مرتفعات صغيرة نتوءات بارزة في أرض الغري وقد سميت الغري باسمها، وكلمة بيض لبروزهاعن الأرض.وفي رواية إنّها موضع خلوته أو إنّها موضع عبادته وفي رواية أخرى في رواية المفضل عن الإمام الصادق {عليه السلام}قال: قلت:يا سيدي فأين يكون دار المهدي ومجمع المؤمنين؟ قال:يكون ملكه بالكوفة، ومجلس حكمه جامعها وبيت ماله ومقسم غنائم المسلمين مسجد السهلة وموضع خلوته الذكوات البيض

تُعنى بالبحوث والدراسات الإنسانية والفكرية والاجتماعية
تصدر عن دائرة البحوث والدراسات
ديوان الوقف الشيعي

جمهورية العراق
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
دائرة البحث والتطوير

Republic of Iraq
Ministry of Higher Education & Scientific Research
Research & Development Department

No.:
Date:

الرقم:
التاريخ:

ديوان الوقف الشيعي / دائرة البحوث والدراسات

م/ مجلة الذكوات البيض

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ...

إشارة الى كتابكم المرقم ١٠٤٦ والمؤرخ ٢٠٢١/ ١٢/٢٨ والملحق بكتابنا المرقم ب ت ٥٧٤٤/٤ في ٢٠٢١/٩/٦ ، والمتضمن أستحداث مجلتكم التي تصدر عن الوقف المذكورة أعلاه ، وبعد الحصول على الرقم المعياري الدولي المطبوع وانشاء موقع الكتروني للمجلة تعتبر الموافقة الواردة في كتابنا أعلاه موافقة نهائية على أستحداث المجلة.

... مع وافر التقدير

أ.م.د. حسين صالح حسن
المدير العام لدائرة البحث والتطوير / وكالة
٢٠٢٢/١/١٧

نسخة منه الى:
- قسم الشؤون العلمية / شعبة التأليف والنشر والترجمة / مع الأوليات.
- الصادرة.

مهند ابراهيم
١٠ / كانون الثاني

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي – دائرة البحث والتطوير – القسم الأيمن – المجمع الثربوي – الطابق السادس

إشارة إلى كتاب وزارة التعليم العالي والبحث العلمي / دائرة البحث والتطوير
المرقم ٥٠٤٩ في ٢٠٢٢/٨/١٤ المعطوف على إعمامهم
المرقم ١٨٨٧ في ٢٠١٧/٣/٦
تُعدّ مجلة الذكوات البيض مجلة علمية رصينة ومعتمدة للترقيات العلمية.

الذكوات البيض

مجلة علمية فكرية فصلية محكمة تصدر عن
دائرة البحوث والدراسات في ديوان الوقف الشيعي

العدد (١٨)المجلد الأول
رمضان ١٤٤٧ هـ آذار٢٠٢٦م

العدد (١٨) السنة الخامسة رمضان ١٤٤٧ هـ آذار ٢٠٢٦م

رقم الإيداع في دار الكتب والو ثائق (١١٢٥)

الرقم المعياري الدولي ISSN 2786-1763

عمار موسى طاهر الموسوي
مدير عام دائرة البحوث والدراسات

رئيس التحرير
أ.د. فائز هاتو الشرع

مدير التحرير
حسين علي محمد حسن الحسني

هيأة التحرير
أ.د. عبد الرضا بهية داود
أ.د. حسن منديل العكيلي
أ.د.نضال حنش الساعدى
أ.د. حميد جاسم عبود الغرابي
أ.م.د. فاضل محمد رضا الشرع
أ.م.د. عقيل عباس الريكان
أ.م.د. أحمد حسين حيال
أ.م .د. صفاء عبدالله برهان
م.د.موفق صبرى الساعدى
م.د.طارق عودة مرى
م.د. نوزاد صفر بخش

هيأة التحرير من خارج العراق
أ.د.نور الدين أبو لحية / الجزائر
أ.د. جمال شلبي/ الاردن
أ.د. محمد خاقانى / إيران
أ.د. مها خير بك ناصر / لبنان

العدد (١٨) السنة الخامسة رمضان ١٤٤٧ هـ آذار ٢٠٢٦م

التدقيق اللغوي
م.د. مشتاق قاسم جعفر

الترجمة الانكليزية
أ.م.د. رافد سامي مجيد

الذكوات البيض

مجلة علمية فكرية فصلية محكمة تصدر عن
دائرة البحوث والدراسات في ديوان الوقف الشيعي

العدد (١٨) السنة الخامسة رمضان ١٤٤٧ هـ آذار ٢٠٢٦م

العنوان الموقعي
مجلة الذكوات البيض
جمهورية العراق
بغداد /باب المعظم
مقابل وزارة الصحة
دائرة البحوث والدراسات
الاتصالات
مدير التحرير
٠٧٧٣٩١٨٣٧٦١
صندوق البريد / ٣٣٠٠١

الرقم المعياري الدولي
ISSN ١٧٦٣-٢٧٨٦
رقم الإيداع
في دار الكتب والوثائق(١١٢٥)
لسنة ٢٠٢١

البريد الالكتروني
إيميل
off_reserch@sed.gov.iq
hus65in@gmail.com

دليل المؤلف .....

١–أن يتسم البحث بالأصالة والجدّة والقيمة العلمية والمعرفية الكبيرة وسلامة اللغة ودقة التوثيق.

٢– أن تحتوي الصفحة الأولى من البحث على:

أ. عنوان البحث باللغة العربية .

ب . اسم الباحث باللغة العربي، ودرجته العلمية وشهادته.

ت . بريد الباحث الإلكتروني.

ث . ملخصان: أحدهما باللغةِ العربية والآخر باللغةِ الإنكليزية.

ج . تدرج مفاتيح الكلمات باللغة العربية بعد الملخص العربي.

٣–أن يكونَ مطبوعًا على الحاسوب بنظام(office Word ٢٠٠٧ أو ٢٠١٠) وعلى قرص ليزري مدمج (CD) على شكل ملف واحد فقط (أي لا يُجزَّأ البحث بأكثر من ملف على القرص) وتُزوَّد هيأة التحرير بثلاث نسخ ورقية وتوضع الرسوم أو الأشكال، إن وُجِدت، في مكانِها منَ البحثِ، على أن تكونَ صالحةً مِنَ الناحيةِ الفنيَّة للطباعة.

٤–أن لا يزيدَ عدد صفحات البحث على (٢٥) خمس وعشرين صفحة من الحجم (A4).

٥. يلتزم الباحث في ترتيب وتنسيق المصادر على الصغية APA

٦–أن يلتزم الباحث بدفعِ أُجُور النشر المحدَّدة البالغة (٧٥،٠٠٠) خمسة وسبعين ألف دينار عراقيّ، أو ما يعادلها بالعملات الأجنبية.

٧–أن يكونَ البحثُ خاليًا مِنَ الأخطاءِ اللغوية والنحوية والإملائيَّة.

٨–أن يلتزم الباحث بالخطوط وأحجامِها على النحو الآتي:

أ. اللغة العربية: نوع الخط (Arabic Simplified) وحجم الخط (١٤) للمتن.

ب . اللغة الإنكليزية: نوع الخط (Times New Roman) عناوين البحث (١٦). والملخصات (١٢)

أما فقرات البحث الأخرى؛ فبحجم (١٤) .

٩–أن تكونَ هوامش البحثِ بالنظام الأكتروني(تعليقات ختامية) في نهاية البحث. بحجم ١٢.

١٠–تكون مسافة الحواشي الجانبية (٢,٥٤) سم،والمسافة بين الأسطر (١) .

١١–في حال استعمال برنامج مصحف المدينة للآيات القرآنية يتحمل الباحث ظهور هذه الآيات المباركة بالشكل الصحيح من عدمه، لذا يفضّل النسخ من المصحف الالكتروني المتوافر على شبكة الانترنيت.

١٢–يبلَّغ الباحث بقرارِ صلاحيَّة النشر أو عدمها في مدَّةٍ لا تتجاوز شهرين من تاريخ وصولهِ إلى هيأةِ التحرير.

١٣–يلتزمُ الباحث بإجراءِ تعديلات المحكّمين على بحثهِ وفق التقارير المرسلة إليهِ وموافاةِ المجلة بنسخةٍ مُعدَّلةٍ في مدَّةٍ لا تتجاوزُ (١٥) خمسة عشر يومًا.

١٤–لا يحق للباحث المطالبة بمتطلبات البحث كافة بعد مرور سنة من تاريخ النشر.

١٥–لاتعاد البحوث الى أصحابها سواء قُبلت أم لم تُقبل.

١٦–تكون مصادر البحث وهوامشه في نهاية البحث، مع كتابة معلومات المصدر عندما يرد لأول مرة.

١٧–يخضع البحث للتقويم السري من ثلاثة خبراء لبيان صلاحيته للنشر.

١٨–يشترط على طلبة الدراسات العليا فضلاً عن الشروط السابقة جلب ما يثبت موافقة الأستاذ المشرف على البحث وفق النموذج المعتمد في المجلة.

١٩–يحصل الباحث على مستل واحد لبحثه، ونسخة من المجلة، وإذا رغب في الحصول على نسخة أخرى فعليه شراؤها بسعر (١٥) ألف دينار.

٢٠–تعبر الأبحاث المنشورة في المجلة عن آراء أصحابها لا عن رأي المجلة.

٢١–ترسل البحوث إلى مقر المجلة – دائرة البحوث والدراسات في ديوان الوقف الشيعي بغداد – باب المعظم)

أو البريد الإلكتروني:(hus65in@Gmail.com) (off reserch@sed.gov.iq) بعد دفع الأجور في مقر المجلة

٢٢–لا تلتزمُ المجلة بنشر البحوث التي تُخلُّ بشرطٍ من هذهِ الشروط .

مجلة علمية فكرية فصلية محكمة تصدر عن
دائرة البحوث والدراسات في ديوان الوقف الشيعي

محتوى العدد (١٨) المجلد الأول

ت	عنوانات البحوث	اسم الباحث	ص
١	تجديد البلاغة العربيّة « نقد وتحليل»	أ. د. فلاح حسن كاطع	١٠
٢	أَثَرُ القِرَاءات القُرآنِيَّة فِي بَيَانِ المَعْنَى التَّفْسِيرِيّ فِي الصِّحَاحِ للجَوهَرِيّ (ت: ٣٩٢هـ)	أ. م. د. زينب خليل إبراهيم السامرائيّ	٢٤
٣	ثورة ٢٥ يناير (كانون الثاني) ٢٠١١ وسقوط حسني مبارك في الصحف العراقية صحيفة (الزمان) أنموذجاً	أ. م. د. ميسون عباس حسين	٥٦
٤	البنية الصرفية للجموع في القرآن الكريم: دراسة دلالية وإدراكية من منظور اللسانيات المعرفية	أ.م. د. سعد صباح جاسم	٧٦
٥	المخالفة الدلالية لمقتضيات المقام في التعبير القرآني	أ.م. د. يوسف عبد القادر عبد	٩٤
٦	المحتوى الإعلامي لصحافة المواطن وإنعكاسه على الشباب الجامعي إختصاص الإعلام» دراسة ميدانية»	أ.م. د. ندى عبود جار الله العمار	١١٠
٧	النمذجة الخرائطية للفيضانات الناتجة عن تغير تصريف نهر دجلة في محافظة صلاح	أ.م.د. سلام سعود حسين داود	١٢٦
٨	الأنا والآخر في شعر ابن شرف القيرواني – الابن – (٤٤٤هـ-٥٣١هـ)	أ.م.د. ندى عسكر محمود	١٤٢
٩	أثر النسخ في القرآن الكريم على القواعد الأصولية	أ.م. د. ثامر حمزة داود	١٥٦
١٠	تأثير المنطق الأرسطي في بناء البرهان الكلامي قبل عصر الرازي	م. د. رائد محمود قدوري عواد	١٧٢
١١	كاتدرائية ريمس ودورها الديني والعلمي والسياسي في فرنسا	م. د. علي رضا حذية	١٨٠
١٢	موقف السلطة الأموية والمجتمع من شيوع ظاهرة الغزل والتشبيب في النساء	م.د غسان توفيق محمد علي	٢٠٢
١٣	دور الأديان في تعزيز الوعي بالأمن السيبراني	م. د. نوال قاسم حمادي السعدي	٢١٦
١٤	نقد المصادر العربية لاراء هنري لامنس حول الإسلام (مقال مراجعة)	م.د. حوراء عبد الناصر الرماحي	٢٢٤
١٥	البعد الجيوسياسي لشبه جزيرة سيناء في مصر وأهميتها الاقتصادية والسياحية	م. د. رحيم حايف كريم السلطاني	٢٣٠
١٦	دور الأقليات العرقية في التاريخ العسكري للولايات المتحدة الامريكية (مقال مراجعة)	م.د. تغريد جاسم عطية	٢٤٤
١٧	المسائل الأصولية المتعلقة بالحقيقة والمجاز وتطبيقاتها في الشرع والقانون	م. د. سناء خضير محمد الجابري	٢٥٢
١٨	فاعلية برنامج تعليمي مقترح على وفق أنموذج مكفرلاند في تحصيل طلاب الصف الثاني المتوسط في مادة الجغرافية وتنمية تفكيرهم التوليدي	م. د سياس علي حسين العزاوي	٢٦٤
١٩	التنمية المستدامة وأساليب دمجها في تدريس اللغة العربية	م. د. علي ثابت حسان جبر	٢٨٦
٢٠	مدى إستخدام مدرسي اللغة العربية بالمرحلة الإعدادية لإستراتيجيات التقويم البديل وأدواته بمحافظة بابل «دراسة ميدانية على مدرسي اللغة العربية بمحافظة – بابل – العراق»	م د. مطلك موسى سلمان	٢٩٢
٢١	فاعلية برنامج إرشادي قائم على مهارات المرونة النفسية في خفض القلق الأكاديمي لدى طلبة الجامعة	أ.م. فاطمة عادل داخل	٣١٦

محتوى العدد (١٨) المجلد الأول

ت	عنوانات البحوث	اسم الباحث	ص
٢٢	أثر استراتيجية دورمان في تحصيل مادة الاجتماعيات لدى تلاميذ الصف الخامس	أ.م. محمد خضر صكبان	٣٢٨
٢٣	تحوّلات النسق الأسلوبي عند ابن منظور في نثار الأزهار: دراسة في الانتقال من المعجم إلى أدب الكون «مقال مراجعة»	م. م. سبأ إسماعيل فرج الدليمي	٣٤٨
٢٤	فاعلية نموذج ايدجا في اكتساب المفاهيم الاسلامية لدى طلاب الخامس الادبي وتنمية التفكير الأخلاقي لديهم	م. م. موسى حسن عبد الراوي	٣٥٢
٢٥	المرأة في شعر ابن فركون الأندلسي	م. م. ضمياء أحمد عبد جاسم الموسوي	٣٦٨
٢٦	التحكيم في عقود التجارة الدولية	أ. د. عبد الرسول عبد الرضا الاسدي م.م. عدي حميد كاظم التميمي	٣٨٠
٢٧	دور الذكاء الاصطناعي في صناعة المحتوى الاعلامي	م. م. مصطفى داود سلمان نصيف	٣٩٦
٢٨	الادوار التربوية والتوعوية والارشادية لأئمة أهل البيت (عليه السلام) «دراسة في كتاب حياة الحيوان للدميري»	م.م. حسن ياسين حميد	٤١٤
٢٩	استراتيجية الدفاع التركي دراسة تحليلية في الادوار الاستخباراتية	أ.د علي حسين حميد الباحثة: نضال جهاد حميد مراجعة: م. م. مروة علوان راضي	٤٢٦
٣٠	الامومة والطفولة في القرآن: من الرحمة الفطرية الى الرسالة التربوية دراسة موضوعية	م. م. اكرام نوري مصطفى	٤٣٢
٣١	أثر استراتيجية الدراما الابداعية في تحصيل طلبة قسم التاريخ المرحلة الثانية في مادة الادارة والإشراف التربوي	م. يسرى عودة علوان	٤٤٦
٣٢	سيميائية الشكل الطباعي عند علاء الدين المعاضيدي	الباحثة: بيداء حسين ربيع أ. د. عبد الرحمن مرضي علاوي	٤٦٨
٣٣	An Analysis of Binding Theory in Selected	Hala Saad Mahmood	٤٧٨
٣٤	Intimacy under Surveillance: Digital Lives and Algorithmic Control in Contemporary Global Fiction	.حيدر علي عبد الحسن مثنى شريف عوده	٥٠٢
٣٥	استخدام الخوارزميات الإبداعية (Creative Algorithms) في إنتاج فنون رقمية مولدة وتحليل انعكاسها على الابتكار الفني لدى طلبة التربية الفنية	الباحث. حيدر كاطع بلاش	٥١٠
٣٦	(الحراك التاريخي في رسوم ما بعد الحداثة)	سماح حبيني عاشور البيضاني أ.م. د بان محمد علي المظفر	٥٢٢
٣٧	موقف الشعر الإسلامي من التغريب الثقافي: تحليل لقصائد مختارة	الباحثة: سناريا غريب قادر	٥٣٦
٣٨	اسماء الحيوانات والمواضع والقبائل العربية قبل الإسلام في مؤلفات الجاحظ	الباحث. علي محسن ثجيل أ.د شاكر مجيد كاظم	٥٤٦
٣٩	أثر استراتيجية تعليم الأقران في تنمية التفكير الإبداعي لدى طلبة قسم التربية	الباحثة: فاطمة جبار حسين	٥٥٦
٤٠	االصلات العلمية بين الكوفة واليمن من القرن الثالث إلى القرن الخامس الهجري	الباحث: مصطفى سعدون حناوي شمخي	٥٦٨
٤١	أثر توظيف تقنيات الذكاء الاصطناعي في تنمية المهارات اللغوية عند تلاميذ الصف الخامس	أ.م. د. حيدر خاف بنيان الحمراني	٥٨٠

تجديد البلاغة العربيّة « نقد وتحليل»

أ. د. فلاح حسن كاطع
الجامعة المستنصريّة/كليّة التّربية

المستخلص:
البلاغة العربية علمٌ وفنٌّ ، تجتمع عندها علوم العربيّة متّحدةً ، وهي علم الذّوق والتّقانة اللغويّة والتّعبير المؤثّر؛ لذا بها حاجةٌ الى التّعهّد والحرص والتّشذيب والتّعضيد. وتجديدها من عوادي الزّمان والجمود لا مناص منه، غير أنّ التّجديد لا يكون بالصّدود عنها واستبدالها بما يفِدُ على العرب من آداب الآخرين، وإنّما بالإفادة المثلى ممّا يبدعه غير العرب، فضلًا عن حفظ منابتها التّراثيّة.
ولقد بات التّجديد من مشكلات البلاغة العربيّة؛ لذا يحسن البحث فيه وتأصيله وتتبّع مسيرته وتعزيز جدواه، والحثّ على أن يؤتي ثمراته على أحسن ما تكون. ولقد هدتني العناية به إلى أفكارٍ عنّت لي، فكان هذا البحث الذي حرصتُ فيه على أن يكون سليمًا معافًى من السّقطات، ولاسيّما ما أوخذ عليه فريقٌ من دعاة التّجديد، وعنيتُ بالقضايا التي بدت لي حريّة بأن تدرس؛ وقسّمته على عنواناتٍ، حتّى انتهيت إلى نتائج أرجو أن تكون مرضيّة.

الكلمات المفتاحية: التجديد، البلاغة، النقد، التحليل

Abstract

Arabic rhetoric is both a science and an art, encompassing all the sciences of Arabic. It is the science of taste and effective expression; therefore, it requires constant attention, care, refinement, and support. Renewing it from the ravages of time and stagnation is inevitable. However, renewal should not be achieved by turning away from it and replacing it with the literatures of other cultures, but rather by making optimal use of the innovations of non-Arabs, while simultaneously preserving its traditional roots. Renewal has become one of the challenges facing Arabic rhetoric. Therefore, it is beneficial to research it, establish its foundations, trace its development, enhance its effectiveness, and encourage it to bear the best possible fruit. This concern led me to several ideas, resulting in this research, which I have strived to make sound and free from errors, especially those criticized by some proponents of renewal. I have focused on the issues that I believe deserve to be studied. I divided it into sections, until I arrived at results that I hope will be satisfactory.

Keywords: Renewal, Rhetoric, Criticism, Analysis

المقدّمة

البلاغة العربية علمٌ وفنٌّ ، تجتمع عندها علوم العربيّة متّحدةً ، وهي علم الذّوق والتّعبير المؤثّر؛ لذا بها حاجةٌ الى التّعهّد والحرص والتّشذيب والتّعضيد. وتجديدها من عوادي الزّمان والجمود لا مناص منه، غير أنّ التّجديد لا يكون بالصّدود عنها واستبدالها بما يفِدُ على العرب من آداب الآخرين، وإنّما بالإفادة المثلى ممّا يبدعه غير العرب. ولقد استقامت طائفةٌ من دعاة التّجديد على جادة الاعتدال والمنهج السّديد، في حين زاغت طائفةٌ وشطّت، وكلٌّ متأثّرٌ بثقافة عصره وما فيه من أسباب، ولا ريب في أنّ الوعي والتّجرّد من الأهواء، والسّلامة من الأدواء من شأنهما أن يهديان إلى الصّواب .

ولقد بات التّجديد من مشكلات البلاغة العربيّة؛ لذا يحسن البحث فيه وتأصيله وتتبّع مسيرته والتّثبّت من جدواه والحثّ على أن يؤتي ثمراته على أحسن ما تكون. فكان هذا البحث.

منشأ التّجديد

للبلاغة العربيّة أطوارٌ مرّت بها واجتازتها على وفق سنن التّطوّر، ولعلّ الطّور الأوّل هو طور البلاغة غير المهذّبة أو غير المدروسة، ولمّا كان لكلّ بلاغةٍ درسٌ فيمكن أن تعدّ الملحوظات الانطباعيّة لذلك الطّور مرحلة البحث البلاغيّ الأولى.

المرحلة التّالية مرحلة البلاغة القرآنيّة الإعجازيّة الّتي أفاد منها الأدب والتّراث عامّةً لحاجة دراسة بلاغة القرآن وإعجازه إلى جمع التّراث ودراسته وموازنته بالمعجِز الّذي هو القرآن، بعد ذلك كانت مرحلة التّحليل والتّذوّق والنّقد والتّقويم، ثمّ جاءت مرحلة التّقنين والمعياريّة والمدرسيّة والضّبط والحدود والتّقسيم.

المرحلة الأخيرة الّتي سُمّيت بالمدرسيّة التّعليميّة، وُظِّفت لإنجاز أقيسةٍ وأنموذجاتٍ مُعدَّةٍ من أجل تَمَثُّلها، وتعدّ هذه المرحلة مرحلة الجمود الّتي تتابعت الدّعوات إلى الخروج منها بما يسمّى بتجديد البلاغة العربيّة.

من نافلة القول أنّ الدّعوة الى التّجديد ضاربةٌ في القدم، فهذا ابن قتيبة الدّينوريّ(ت٢٧٦هـ) قال: (ولم يَقصُرِ اللهُ العلمَ والشعرَ والبلاغةَ على زمن دون زمن ، ولا خَصَّ به قومًا دونَ قومٍ، بَل جَعل ذلك مشتَرَكًا مقسومًا بين عبادِه في كلِّ دهر، وجَعل كلَّ قديمٍ حديثًا في عصره ، وكلَّ شرفٍ خارجيًّةً في أَوَّله)(١).

وقال ابن بسّام(ت٥٤٢هـ): (وليتَ شعري مَن قصر العلمَ على بعض الزمان، وخصَّ أهلَ المشرق بالإحسان؟... وليس الفضل على زمنٍ بمقصور، وعزيزٌ على الفضل أن يُنكر، تقدَّم به الزمانُ أو تأخر، ولحى اللهُ قولهم: الفَضْلُ لِلْمُتقَدم ، فكم دفنَ من إحسان ، وأخْمَلَ من فلان، ولو اقتصر المتأخرون على كُتُبِ المُتَقَدِمين، لضاعَ عِلْمٌ كَثِير، وذهب أدبٌ غزير)(٢).

وفي العصر الحديث بدأ التّجديد في البلاغة العربيّة بجبر ضومط(ت١٩٣٠م)، الذي نشر كتابه الخواطر الحسان في المعاني والبيان سنة ١٨٩٦م، وتلاه كتابه فلسفة البلاغة الذي نُشر سنة ١٨٩٨م، وقويت الدّعوة إلى التّجديد بما دعا إليه الشّيخ محمّد عبده(ت١٩٠٥م)، من إبدال المتون ذات الاتّجاه الفلسفيّ كمفتاح العلوم وشروحه بدلائل الإعجاز للجرجانيّ، على الرّغم من أنّ دلائل الإعجاز ينتمي إلى مؤلّفات المدرسة الكلاميّة، غير أنّه نهج فيه نهجَ التّحليل، ممّا جعل دعوة محمّد عبده دعوةً نحو تغيير المتون والمنهج.

وقد افترق المجدّدون على فريقين رأيسين:

أوّلهما دعا إلى هجران البلاغة العربيّة القديمة واستبدالها بالأسلوبيّة ابتداءً من أحمد الشّايب(ت١٩٧١م) الّذي دعا في كتابه الأسلوب الذي نُشرت طبعته الأولى سنة ١٩٣٩م، إلى القسمة الثّنائيّة بدلًا من الثّلاثيّة وإلى دراسة الفنون الأدبية في ضمن الدّرس البلاغيّ، ثمّ أمين الخوليّ(ت١٩٦٦م) في كتابيه: فنّ القول الذي نُشرت طبعته الأولى سنة ١٩٤٧ ، ومناهج تجديد في النّحو والبلاغة والتّفسير والأدب، الذي نُشرت طبعته الأولى سنة ١٩٦١م ، إذ دعا إلى القسمة الثّنائيّة بدلًا من القسمة الثّلاثيّة، وإلى العامّيّة المصريّة وتقريبها من الفصحى، فضلًا عن رأيه بإعجاز القرآن الكريم البيانيّ.

وثانيهما دعا إلى إعادة بناء البلاغة القديمة بهدي البلاغة الحديثة ولِنقُل: الأسلوبيّة.

مآخذ دعاة التّجديد على البلاغة الموروثة

كان للدّاعين إلى تجديد البلاغة العربيّة منطلقٌ وحججٌ في خضمّ التّغيّر الذي حصل في القرن التّاسع عشر وما تلاه في القرن العشرين ولا سيّما نصفه الأول، ومن الثّابت أنّ التّجديد لم يكن ابن ليلته بل له جذور في تاريخ اللغة العربيّة والأدب العربيّ، وسأورد طرفًا من تلك الحجج.

١ – المدرسيّة والتّقنين

المراد بهذا الإشكال أنّ البلاغة العربيّة رزحت في طورها الأخير قبل مرحلة التّجديد، بالقيود والضّبط والقوانين، وسيقت نحو غايةٍ واحدةٍ هي التّعليميّة على وفق أنموذجاتٍ تُحتذَى وأحكامٍ معدّةٍ يوزَن بها الإبداع والأداء البلاغيّ،

ولاشكّ في أنّ الإسراف في هذا الاتّجاه مخلٌّ، لذلك صدّ الأسلوبيّون ودعاة التّجديد عن البلاغة القديمة من هذه الجهة؛ لأنّ العناية بالضّبط والقواعد استقلّت بالبلاغة وصار التّحليل متنحيًّا ومنزويًا مع التّذوّق، وباتت البلاغة العربيّة طاردةً وسببًا للعزوف عنها.

ويبدو أنّ شيوع المنهج التّعليميّ أتى من ضعف الملَكة وضعف الثّقافة، فضلًا عن أنّ غلبة المنطق والتّمنطق من شأنهما أن يكونا من أدواء الطّبع والذّائقة في حال فقدان التّوازن بين الاتّجاهين، فعندما انتهج البلاغيّون بعد مرحلة عبد القاهر الجرجانيّ النّهج المدرسيّ من أجل أن يكون بلسمًا لأدواء الضّعف والأداء، كرّسوا الضّعف من حيث لم يقصدوا؛ لأنّ الاستظهار والتّقليد واحتذاء أنموذجاتٍ وأحكامٍ مرسومةٍ لا يُعدّ مرونًا للذّائقة وشحذًا للبراعة بل قد يقعد بها. وقد أدرك عبد القاهر الجرجانيّ عوار منهج من سبقه فقال: (ولم أزل منذ خدمتُ العلم أنظر فيما قاله العلماء في معنى « الفصاحةِ » و « البلاغة » و « البيان » و « البراعة » وفي بيان المغزى من هذه العبارات، وتفسير المراد بها، فأجد بعضَ ذلك كالرمز والإيماء، والإشارة في خفاءٍ. وبعضه كالتنبيه على مكان الخَبِيءِ ليُطْلَب، وموضعِ الدَّفين ليُبْحث عنه فيُخْرَجَ . وكما يفتح لك الطريقُ إلى المطلوب لتسلكه، وتُوضَع لك القاعدة لتبنَى عليها. ووجدت المُعوَّل على أن ها هنا نظمًا وترتيبًا، وتأليفًا وتركيبًا، وصياغة وتصويرًا ونسجًا وتحبيرًا، وأنَّ سبيلَ هذه المعاني في الكلام الذي هي مجازٌ فيه، سبيلُها في الأشياءِ التي هي حقيقة فيها، وأنه كما يَفْضُل هناك النظمُ النظمَ، والتأليفُ التأليفَ، والنسجُ النسجَ، والصياغةُ الصياغةَ . ثم يَعْظُم الفضلُ وتكثُر المزيَّة حتى يفوقَ الشيء نظيرَه والمجانسَ له درجاتٍ كثيرةً، وحتى تتفاوت القِيَمُ التفاوتَ الشديد ،كذلك يفْضُل بعض الكلام بعضًا، ويتقدَّم منه الشيءُ الشيءَ)(٣).

٢ – العناية بالتّقسيم والتّعريفات

على الرّغم من حسنات هذا المنهج الّذي هو منهج تحقيقٍ وتفصيلٍ لدقائق اللّغة والتّراكيب والنّصوص بيد أنّه قلّما ينفع الوحدة النّصّيّة أو لا ينفعها؛ لذا قصارى جهود حذّاق البلاغيّين أن خرجوا بالبلاغة إلى رحبة الجملة حسب، ولم يستطيعوا إخراجها إلى فضاء النّصّ، ولنضرب مثلًا، كثرة أقسام التّشبيه التي تعفي الصّورة وتحليلَها، وكذلك الأمر في كثرة أقسام البديع، وشبه كمال الاتّصال في الفصل والوصل الّذي حقُّه أن يكون في ضمن كمال الاتّصال إلى جنب الإيضاح والبدليّة والتّوكيد. وربّما الذي حبس البلاغيّين عند حدود الجملة أنّ مشغل البلاغة الكلامُ، والنّحوُ عماد الكلامِ وقانونه، والصلة بين النحو والمنطق مكينةٌ ، بيّنها التّنوخي بقوله: (ونظير القضية في اصطلاح أهل النحو – الجملة – والفرق بين اصطلاح أهل النحو وأهل المنطق أن أهل المنطق يتكلمون على المعاني مستتبعة للألفاظ، وأهل النحو يتكلمون على الألفاظ مستتبعة للمعاني، والجملة أعم من القضية؛ لأن القضية منها ما يحتمل الصدق والكذب، ومنها ما لا يحتمله، وهي الجمل الطلبية والانشائية، والقضية لا تخرج عما يحتمل الصدق والكذب)(٤). فكثرة التّقسيم والعناية بالحدود والتّعريفات، إفراطٌ في الاتّجاه الفلسفيّ، وقد تكون وراءه غايةٌ مدرسيّةٌ تعليميّةٌ، ولا سيّما التّقسيم الذي قد يُتوخّى منه حصر المطالب والاستظهار، غير أنّه خلوٌ من التّحليل والمزايا الذّوقية والأدبيّة، وتصبح كثرته عسرًا، ويصير عقبةً تنوء بها الذّاكرة ولا تجنى ثمرته من الحصر والإحاطة و تيسير الحفظ ، بل تغدو الأساليب الفنيّة شتاتًا ومبعثرةً.

٣ – قصور البلاغة الموروثة

المراد بهذا المشكل أنّ تطوّرًا ظهر في الأدب ولاسيّما الفنونِ الأدبيّةِ السرديّةِ والتعبيريّةِ الإنشائيّةِ، والبلاغة القديمة لا تستوعب ما جَدّ من هذه الأجناس؛ لذا رأى بعض المجدّدين (أحمد الشّايب ومَن شاكله) الغاءَ القسمة الثّلاثيّة في البلاغة وإبدالَها بالقسمة الثّنائيّة الّتي هي قسمٌ يُعنى بالتّركيب اللّغويّ العامّ ابتداءً من الصّوت والحرف، مرورًا بالمفردة والجملة، وانتهاءً عند الصّورة النّصّيّة الكلّيّة، وهذا هو القسم الأسلوبيّ، والقسم الآخر هو الفنون الأدبيّة. قال الشايب:(رأينا البلاغة العربيّة انتهت في أبحاثها إلى علمين أساسيّين: المعاني والبيان...وسنرى أنّ موضوع البلاغة أعمّ من ذلك وأشمل وأنّه لا حاجة بنا مطلقًا إلى هذه الاسماء العلميّة: كالمعاني والبيان والبديع)(٥). وقال: (ينحصر موضوع البلاغة في بابين أو كتابين: الأسلوب والفنون الادبيّة)(٦).

لم يرُق هذا لبلاغيّين آخرين؛ لأنّ دراسة هذه الفنون من مهمّة النّقد الأدبيّ، وكأنّ هذه دعوةٌ ليست تجديديّةٌ وإنّما لدمج النّقد والبلاغة(٧)، فضلًا عن أنّ القسمة الثّلاثيّة لا تحوْل دون التّوسّل بالأسلوبيّة في البلاغة واتّخاذها منهجًا بلاغيًّا جديدًا أو أداةَ تصحيحٍ وتجديدٍ، ومن الطّبيعيّ أن تتّسع العلوم، وينمو الفرع إلى علمٍ مستقلٍّ، ولم يحلِ التّقسيم الثّلاثيّ دون الأبداع في البلاغة من جهتي النّصّ الأدبي والدّرس البلاغيّ، فقد شهدت البلاغة أطوارًا من الدّرس الأصيل الماتع الفائق. ونقول هذا مع استحسان ضمّ المطالب على نحوٍ علميٍّ مستحسنٍ لا تضيع به السّمة الفنيّة والعلميّة، وضرورة نبذ التّجزئة والتّقسيم المخلّ.

٤ – المنهج الشّكليّ والبديعيّ

المراد من هذا أنّ البلاغة القديمة تُعنى بالشّكل حسب، من فصاحة المفردة والصّياغة القانونيّة والمحسّن البديعيّ، ولم تُعنَ بالمعاني والتّصوير الإبداعيّ بلحاظ الصّورة التي هي روح الأدب. هذا ما رآه الأسلوبيّون منطلقين من أنّ الأسلوبيّة تُنجِز ماكلّت عنه البلاغة القديمة.

الّذي يلوح لي أنّ هذا النّقد يصدُق على طرفٍ من البحث البلاغيّ عند طائفةٍ من البلاغيّين القدامى بعد مرحلة الجرجانيّ؛ لأنّ أساس البلاغة العربيّة هو الأدبيّة ابتداءً من الملحوظات الانطباعيّة الغارقة في القِدم، ولقد نضج هذا الاتّجاه الأسلوبيّ التّحليليّ عند الجرجانيّ بشهادة ما قال به من النّظم والمعاني الثّواني وتسلسل الألفاظ بحسب تسلسل المعاني في الذّهن.

لاشكّ في أنّ دعوات التّجديد من مشكلات البلاغة العربيّة ويمكن القول: إنّ هذه المشكلة تستهدف الاستبدال والتّجزئة والانفصال، وأقصد بهذا استبدال البلاغة العربيّة بأخرى وتجزئة البلاغة الكليّة وانفصال بعض فروعها عنها. خليقٌ بالذّكر أنّ من الخير الإيمان بأنّ ما جَدّ من مناهجَ وعلومٍ لسانيّةٍ إن هو إلّا وسائل تنفيذيّة يُتوسَّل بها لدراسة العربيّة والبلاغة العربيّة وفهمها وتعلّمها والإفادة من مخزونها، وأنّ هذه الوسائل أفضل من الوسائل الموروثة بلحاظ تغيّر الأحوال والتّطوّر العلميّ والمنهجيّ، وأحسب هذا ركيزةً ومهادًا نظريًّا وفكريًّا لإقامة التّجديد القويم والشّروع به.

ومما تحسن الإشارة إليه أنّ كثيرًا من دعوات التّجديد توخّت تغيير هوية البلاغة العربيّة الأصليّة الّتي هي الكلّيّة بشهادة ما قالة حازمٌ القرطاجنّيّ(ت٦٨٤هـ): (هذه الصناعة لا يليق بها أن تخرج إلى محض صناعات اللسان الجزئية وأن تستقصى فيها تفاصيل تلك الصناعات. وإنّما نتكلّم من ذلك في ما له علقة بصناعة البلاغة...وأكثر ما يتكلّم البليغ أيضًا من ذلك في قوانين كلّيّة يمكن أن تستنبط منها أشياء في صناعات اللسان الجزئيّة)(٨)، هذا معناه أن البلاغة علمٌ كليٌّ مرجعيٌّ لعلوم اللّغة عامّتها، كما أنّ هذا فهمٌ موروثٌ عالٍ من منبعٍ بصيرٍ بالبلاغة، ونقديّ ناضجٍ متطوّرٍ، بيد أنّ ثمّة من فرّط بهذا في غمرة اندهاشٍ ولهاثٍ وراء الوافد.

هذا الّذي أرادَه حازمٌ يذكّرنا بما أراده السّكّاكيّ(ت٦٢٦هـ) من قبلُ في صياغة (نظريّة الأدب)، بقوله:(وقد ضمنت كتابي هذا من أنواع الأدب، دون نوع اللغة، ما رأيته لابد منه، وهي عدة أنواع متآخذة. فأودعته علم الصرف بتمامه، وأنه لا يتم إلا بعلم الاشتقاق المتنوع إلى أنواعه الثلاثة...وأوردت علم النحو بتمامه، وتمامه بعلمي المعاني والبيان...ولماكان تمام علم المعاني بعلمي الحد والاستدلال، لم أر بدا من التسمح بهما وحين كان التدرب في علمي المعاني والبيان موقوفا على ممارسة باب النظم وباب النثر، ورأيت صاحب النظم يفتقر إلى علمي العروض والقوافي، ثنيت عنان القلم إلى إيرادهما)(٩). وهذا يتعالق من دون ريبٍ بما قاله الجاحظ (ت٢٥٥هـ) من أنّ (البيان اسمٌ جامعٌ لكلّ شيءٍ كشَفَ لك قِناعَ المعنى، وهتَكَ الحِجَاب دونَ الضمير، حتّى يُفْضِيَ السّامعُ إلى حقيقته، ويَهجُم على محصولِهِ كائنًا ماكان ذلك البيان، ومِن أيّ جنسٍ كان الدّليل)(١٠). والّذي يتّفق مع قول ابن القفع(ت١٤٢هـ) في أنّ البلاغة (اسمٌ جامعٌ لمعانٍ تجري في وجوهٍ كثيرة. فمنها ما يكون في السُّكوت، ومنها ما يكون في الاستماع، ومنها ما يكون في الإشارة، ومنها ما يكون في الاحتجاج، ومنها ما يكون جوابًا، ومنها ما يكون ابتداءً، ومنها ما يكون شعرًا، ومنها ما يكون سَجْعًا وخُطبًا، ومنها ما يكون رسائل، فعامّةُ ما يكون من هذه الأبواب الوحيُ فيها والإشارةُ إلى المعنى والإيجازُ هو البلاغة)(١١).

يمكن القول: إنّ دعاة التّجديد ولا سيّما المحدثون منهم والمعاصرون الّذين حداهم بهرج المصطلحات والأنظار الغربيّة، سقطوا في التّقليد من حيث شعروا و لم يشعروا؛ لأنّهم ركنوا إلى ما عضّوا عليه النّواجذ ولم يأتوا عقبَه بجديدٍ.

مرتكز التّجديد

قال أمين الخوليّ: (أول التّجديد قتل القديم فهمًا)(١٢).

يتضمّن التّجديد فكرةً ذات اتّجاهين بهما قوامُها وكمالُها: الأوّل: وجود قديمٍ به حاجةٌ إلى تجديدٍ، والآخر: التّجديد على وفق ما يعدّ به جديدًا، وفي ذا ملحظ الانسجام مع طبيعة التّطوّر والواقع، وقد يُعبَّر عنه بالإحياء، لكنّ ثمّة فرقًا بين المصطلحين (التّجديد) و(الإحياء)، ذاك هو أنّ التّجديد لا يدلّ على هلاك ما يُراد تجديدُه، بل يعني أنّه بات خلِقًا من أسمال الماضي، افترسه البلى واستبدّ به القدم، وأنّ تجديدَه إصلاحُه وتطويرُه، أمّا الإحياء فأشدّ نُكرانًا لحال ما يُراد إحياؤه، وتلكم الشّدّة هي الشّدّة في الموقفِ منه، فالفرقُ بين التّعبيرين الفرقُ بين الحيّ والميّت.

والتّجديد بعدُ، نزعةٌ طبيعيةٌ نجدها في الأطوار الموغلة في القدم من تاريخ الأدب العربيّ، فما قيل من إبداع امرئ القيس في صوره ومن وقوفه ومساءلته الدّمن وتقييده الأوابد وتعدّد التّشبيهات جميعها من أشكال التّجديد الفنّيّ، والموقف من المقدّمة ابتداءً من الكميت ثمّ أبي نواس، شكلٌ من أشكال التّجديد أيضًا، وموقف أرسطو وشيخه أفلاطون وقبلهما سقراط المباين للسّوفسطائيّين في البلاغة اليونانيّة، شكلٌ من أشكال التّجديد، وما نجده اليوم من الأسلوبيّة والبنائيّة والتّداوليّة والحجاج تجديدٌ متقوّمٌ بالتّقليد؛ لأنّ أصحاب تلك الاتّجاهات أخذوا تلك المناهج والنّظريّات من الغربيّين، وكذا يقال في اللّغة ولسانيّات النّصّ وغيرهما، ومثل ذلك نجد في النّقد وغيره؛ لذا إخال تأثّر المحدثين والمعاصرين أشدّ من تأثّر بلاغيي العرب والمسلمين القدامى ونقّدَهم وأنّ جلّ ما جدّ عندهم الإجراءُ.

البلاغة الموروثة والبلاغة الجديدة

من المفيد القول: إنّ البلاغة الموروثة بيانيّةٌ معياريّةٌ على التّرتيب في ضمن حدّي الإقناع والامتاع، والبلاغة الجديدة بلاغةٌ نصّيّةٌ خطابيّةٌ، وهي اليوم تتوزّعها اتّجاهاتٌ لغويّةٌ وأسلوبيّةٌ وحجاجيّةٌ، فالبلاغة في فصول نشأتها اتّسمت ابتداءً ولا سيّما عند اليونان بالسّمة السّياسيّة الخطابيّة ووظّفت للإقناع في سياق النّشأة وعواملها، ثمّ اكتست حلّة الامتاع وبذلك انتقلت إلى بلاغة المهارة الانشائيّة (التّعبير)، وتطوّرت إلى الوصف والأسلوب ثمّ الحجاج، وهذا شكيل ما في البلاغة العربيّة، ولكنّ البلاغة العربيّة ذات منشأٍ شعريّ تعبيريّ ثمّ تطوّرت إلى إقناعيّةٍ حجاجيّةٍ مع البحث في إعجاز القرآن الكريم الّذي وازاه الاتّجاه البيانيّ المكرّس للكتابة مع اشتداد العامل السّياسيّ واتّساع الدّولة، وأدّى هذا العامل إلى السّمة المعياريّة التّعليميّة، أمّا في العصر الحديث فالبلاغة العربيّة متأثرةٌ بالاتّجاهات الجديدة الوافدة، وأحسب هوية البلاغة العربيّة ناصعةً ظاهرةً في الفصول الأولى بلحاظ أنّ غلبة الاتّجاه البديعيّ يحاكي – في رأيي – جوهر البلاغة العربيّة ولا سيّما مراحله المعتدلة الطّبيعيّة.

فإذا كانت البلاغة اليونانيّة بدأت سياسيّةً قضائيّةً فلسفيّةً فإنّ البلاغة العربيّة بدأت شعريّةً بيانيّةً قرآنيّةً، وإخال أنّ مرحلة الأسلوبيّة مشرقةٌ في تاريخ البلاغة عامّة العربيّة وغير العربيّة، وتقهقرت البلاغة ولا سيّما الغربيّة بعد الأسلوبيّة، وأريد بالأسلوبيّة ما تفرّع عنها أو اشتقّ منها.

البلاغة الجديدة

يؤدي تجديد البلاغة العربيّة والدّعوة إليه إلى استفهام عمّا وصل إليه التّجديد، وهل استطاع أن يوجد بلاغة عربيّة جديدة؟ ولا أقصد بمصطلح البلاغة الجديدة الحجاج التداوليّ.

الحقّ لا نجد عند الكلام على البلاغة الجديدة بلاغةً عربيةً مستقلّةً، إنّما نجد بلاغةً أشبه بالدّاعية للبلاغة الغربيّة، وجلّ ما نجده عند العرب من استقلالٍ لا يعدو ثلةً قليلةً.

من المفيد الإشارة إلى أنّ النّظريّات والمناهج المستحدثة الجديدة في القرنين الماضيين لم تنتفع بها البلاغة العربيّة انتفاعًا واضحًا كبيرًا وربّما وراء ذلك أسبابٌ، فهي لم تنتفع من الاتّجاه الاجتماعيّ ولم تنتفع من الاتّجاه النّفسيّ، إذ نجد دراساتٍ قليلةً في ذينك الحقلين إزاء غيرهما. في حينٍ نجد في البلاغة العربيّة الموروثة عناية عبد القاهر الجرجانيّ بالجانب النّفسيّ، ويمكن أن تعدّ دراسات الحديث والأمثال ونهج البلاغة ذات منحًى اجتماعيٍّ، ورائد الدّعوة إلى

الإفادة من المجال النّفسيّ ووصْل البلاغة العربيّة به هو أمين الخوليّ في بحثه (البلاغة وعلم النّفس).

التّجديد والأثر الأوربيّ

يبدو أنّ الدّعوة إلى التّجديد العامّ وفي ضمنه البلاغيّ في العصر الحديث مصريّة المنشأ، بعد غزو نابليون(١٧٩٨م–١٨٠١م)، بدأت من رفاعة الطّهطاويّ(١٨٠١–١٨٧٣م)، وأحمد فارس الشّدياق (١٨٠٤–١٨٨٧م)، وبطرس البستانيّ(١٨١٩–١٨٨٣م)ومحمّد عبده (ت١٩٠٥م) وإبراهيم اليازجيّ(١٨٤٧–١٩٠٦م) وأحمد الشّرتونيّ(١٨٤٩–١٩١٢م) وأضرابهم وآخرين غيرهم.

جاءت حملة نابليون على مصر سنة ١٧٩٨م بتغيير، إذ تلاها صعود محمّد عليّ(ت١٨٤٩م) زعيمًا لمصر(من ١٨٠٥م إلى ١٨٤٨م)، وقد أنجز محمّد عليّ تطورًا ثقافيًّا في مصر، من ثمراته أنْ ظهرت الدّعوة إلى التّجديد، ولعلّ ما هدى إليه المنهج الجديد والمستمدّ من خارج الثّقافة العربيّة، أنّ كثيرًا من الواقع مشيدٌ على التّقليد الّذي لا يعدو السّطحيّة أو ما آل إليها، فظهر منهج النّقد والوصف والتّحليل الّذي يجانب المدرسيّة والمعياريّة، ولم يقتصر الأمر في مجال التّجديد والدّعوة إليه على البلاغة والنّقد بل شمل الشّعر في حركة الإحياء(١٣). وكان التّجديد في أوّل فصوله لغويًّا، ولعلّه ناشئٌ عن الموقف من اللّغة العربيّة الّتي عُدّت عند بعضٍ سببًا من أسباب التّخلّف الحضاريّ في ظلّ الميل القوميّ لدى جمهور من مثقفيّ المصريّين ودعاة التّجديد، ووصل الموقف من العربيّة الفصحى إلى حدّ الدّعوة إلى العاميّة(١٤).

ومن أسباب الدّعوة إلى التّجديد الانبهار بالتّطوّر الّذي وصلت إليه المجتمعات الأوربيّة وآدابها ولغاتها الّتي تتصدّرها الإنكليزيّة التي تمتاز بالسّهولة والتي تصدّرت وصارت لغة العلم والثّقافة، وربّما جاء ذلك الموقف من العربيّة بسبب اقترانها بعلوم الدّين والشّريعة والفقه والسّلفيّة والتّقليد وقلّة التّحليل، ولعلّ من الأسباب أيضًا صعوبة قواعد علوم العربيّة وقوانينها وعسرها على المتعلّمين وشدّة العناية لدى أهلها بالجانب المدرسيّ فيها، وخير برهانٍ على هذا أنّ دعوات التّجديد صوّبت إلى النّحو ابتداءً من رفاعة الطّهطاويّ الّذي ألّف كتابه(التّحفة المكتبيّة)،وانتهاء بإبراهيم مصطفى(١٨٨٨–١٩٦٢م) الّذي ألّف كتابه (إحياء النّحو).

من نتائج الأثر الأوربيّ في الدّعوة إلى تجديد البلاغة العربيّة أنْ ظهر اتّجاهان مبنيّان على الأسلوب: الأوّل حاول التّجديد بإيجاد أسلوبٍ عربيّ تستبدل به البلاغة الموروثة بالاستناد إلى مفهوم الأسلوب عند الغربيّين، ويمثّل هذا الاتّجاه أحمد الشّايب في كتابه الأسلوب.

والاتّجاه الآخر حاول التّجديد بإرساء أسلوبٍ قائمٍ على الأنظار البلاغيّة العربيّة، ويمثّل هذا الاتّجاه أحمد حسن الزّيّات بكتابه دفاعٌ عن البلاغة.

وهناك عوامل أخرى منها أنّ دعوات التّجديد الآتية مع رياح الغزو الأوربيّ كانت كثيرةً، فلمّا وجد البلاغيّون والنّقاد العرب الميدان يخلو من دعوات تجديدٍ حديثةٍ وفيرةٍ ومتعاقبةٍ وذات أثرٍ، توسّلوا بتلك الوافدة، يزيد على هذا وذاك ظهرت في العصر الحديث ثوراتٌ وتيّاراتٌ فكريّةٌ وسياسيّةٌ هاج لها الفكر العربيّ الّذي استبدّ به الظمأ إليها وإلى أمثالها ممّا يحرّك مشاعره وينسجم مع آماله ومناه في الخلاص من السّيطرة والفقر والجهل، وكانت تلك الثّورات ذات مغزًى فكريٍّ شملت فيما شملت الأدب والنّقد وغلبت على السّاحة الأدبيّة العربيّة قرابة ثلاثة عقودٍ.

نرسو إلى أنّ للبلاغة العربيّة أطوارًا ومراحل، شأنها شأن الحقول الأخرى، وتعدّ الآراء والإشارات الانطباعيّة الذّوقيّة الأولى الطّورَ الأوّلَ، و كانت تعبيرًا عن مبلغ التّأثّر العامّ و وتبيّن السّائد في طبيعة المؤثّر و السّائد في طبيعة التّأثّر، في محاكاةٍ للواقع المهيمن يومذاك، حيث كانت الحياة سائرةً على وفق حالٍ واحدةٍ ذات سمةٍ تطّرد يمكن أن توصف بالمحافظة، وبعد ظهور الإسلام واشتغال المسلمين بالقرآن بدأ طورٌ جديدٌ هو التّأويل والتّركيز على الإعجاز، ولعلّ السّبب أنّ الخطاب المتمثّل بالقرآن يدعو إلى تغيير الاعتقاد التّقليديّ السّائد وإبداله بآخر هو الصّواب، أو هو بتعبيرٍ آخر التّحول على نحو التّغيير العامّ إلى حالٍ أخرى، ولمّا كان الاعتقاد ملزمًا بالاقتناع الحقيقيّ من دون اتّباعٍ، حرص القرآن على إنجاز هذا المطلب بالدّعوة إلى التّفكّر والتّدبّر، فضلًا عن التّحدي الّذي يتضمّن الدّعوةَ إلى التّنافس الموضوعيّ الّذي يتضمّن منهجًا في سبيل التّغيّر، وقد اقتضى هذا جمع مقول

العرب شعرًا ونثرًا ودراسته وتقنينه وكشف مزاياه الفنيّة لإثبات إعجاز القرآن، واستقلال المعجز بمزايا لا تضاهَى من أجل إثبات صحّة المعتقَد ومنطقيّة الاعتقاد، فتشعّبت أضرب البحث وآتت جناها في مجالات اللّسان والأدب عامّة، ثمّ جاءت مرحلة الأحكام والتّحليل والتّعليل، تلتها مرحلة التّقعيد والمعايير والقوانين الّتي أدّت إلى مرحلة التّعليم والتّعلّم(المعياريّة المدرسيّة)، وفي أثناء هذه الأطوار المتعاقبة كانت ضرورة التّوسّل بالفلسفة والنّظر العقليّ متّصلةً غير منقطعةٍ، بل ألحّت بحضورها في المراحل كلّها حتّى رسخت على نحو المفهومات والمصطلحات والمعايير في المرحلة التّعليميّة المدرسيّة الّتي آلت إلى صبغة الجمود وهيمنة الفلسفة، وكان من نتائج هذه الحال التّوقّفُ عند الجملة، وكثرةُ التّقسيمات، ووعورةُ الدّراسات، والتّشدّدُ في الحدود، وغموضُ العبارة والمفهوم وراء المصطلح، حتّى احتاج الإيضاح إلى إيضاحٍ واحتاج التّلخيص إلى شرحٍ وتفصيلٍ، واحتاج التّعريف إلى بسطٍ وبيانٍ، واحتاج المصطلح إلى ما يكشف عن غامضه وفحواه، فظهرت جرّاءَ ذلك نداءاتٌ تدعو إلى التّجديد على نحو المعالجة والمنهج والتّعليم، ولمّا تزل، وأحسب العقبة الكأداء في طريق التّجديد النّزعةُ التّقليديّةُ، تلك العقبة الّتي لوّنت الثّقافة الإسلاميّة الّتي تستمد قوّتها من طبيعة الفقه والتّشريع الّذي انسجم معه المسلمون والعرب للوئام بينه وبين ما جُبلوا عليه بمؤازرة البيئة الدّاعية إلى التّقليد الّتي قضت بناموس الانغلاق بسبب غلبة الجدب وغيبة النّظم السّياسيّة والدّولة حتّى وفاة الرّسول، فضلًا عن حال الاضطراب السّياسيّ القاسي الصّاعد والمستمر في المراحل التّالية الّتي كرّست التّجزئة الأولى وفقدان الانضباط وميزان القوى، فحال ذلك دون نضج جيلٍ مؤسِّسٍ يتغيّر به الواقع على النّحو الاجتماعيّ العامّ، ووصل الأمر إلى أن كان المحدَثون من البلاغيّين والنّقدة وأرباب الأدب داعين إلى ضرورة التّجديد، وكان هذا الهاجس سببًا للتّشبّث بكلّ طارفٍ من المناهج والنّظريّات المستحدَثة، ولا سيّما الوافدة الّتي يزينها ويحضّ عليها الفارق الاجتماعيّ العامّ بين العالمين أو البيئتين الاجتماعيّتين، وكانت الأسلوبيّة أبرز مستحدَثٍ وأبرز مَشرعٍ لمَا جدّ بعدها من مناهج ونظريّاتٍ واجهت تيّارًا محافظًا تسلّح بإعادة قراءة الموروث، وباحثًا عن الأسلوبيّة وغيرها في تلافيف التّراث، وكان هذا العمل حصنًا للتّقليديّة تترّست به إزاء التّجديد، وإخال هذا قد تمخّض عن حقيقةٍ هي حاجة البلاغة إلى التّشذيب والتّنقية ومجاراة التّغيّر الطّبيعيّ في الحياة العامّة، فالبلاغة هي البلاغة ولكنّ وسائل الدّرس لابدّ من أن تكون زمانيّة.

أدّت النّزعة إلى التّجديد إلى ظهور الدّعوة إلى استبدال البلاغة بالأسلوبيّة، في حين ذهب آخرون إلى أنّ الأسلوبيّة ثمرةٌ من ثمرات البلاغة، تحمل صفاتها الموروثة، وتزيد عليها بجديدٍ من الصّفات، وبقي آخرون ممسكين بالبلاغة الموروثة.

جهود أمين الخوليّ

يعدّ أمين الخوليّ أبرز من دعا إلى التّجديد في كتابيه (فنّ القول)، و(مناهج تجديد في النّحو والبلاغة والتّفسير والأدب)، وغيرها من الدّراسات التي كُرّسها لدعوته، ولعلّ في طليعة مَن شاركه في الدّعوة أحمد الشّايب في كتابه الأسلوب، وركز الخوليّ وشريكه الشّايب على إحلال الأسلوب محلّ تقسيم البلاغة على ثلاثة علوم، وخليقٌ بالذّكر أنّ أمين الخوليّ قال في مناهج التّجديد بأن التّقسيم الثّلاثيّ لم يكن واضحًا حتّى القرن الخامس ويقصد نهايته؛ لأنّ عبد القاهر الجرجانيّ لم يميّز في كتابيه تلك القسمة، إذ جاء في الأسرار(المظنون إخلاصه للبيان) السّجعُ والجناس، وجاء المجازُ الحكميّ في دلائل الإعجاز.

قال الخوليّ: (نقسم الدرس إلى بلاغة الألفاظ، وبلاغة المعاني، وفي بلاغة الألفاظ نبحث عنها من حيث أن تلك الألفاظ أصوات...ثم من حيث هي دوال على المعاني...ونبحث ذلك في المفردة، والجملة، والفقرة، والقطعة، ونقسم المعاني بما يناسبها حتى ننتهي إلى دراسة فنون القول الأدبي المنظوم والمنثور فنًا فنًا، وما به قوام كل فن وحسنه؛ متخطين الفنون القديمة من المقامة والرسالة، والخطبة إلى الفنون الحديثة من المقالة، والقصة على اختلاف أنواعها)(١٥).

استهدف أمين الخوليّ التّجديد في المجال المدرسيّ بتيسير تعليم البلاغة العربيّة في امتدادٍ منه لمنهج محمّد عبده ووفاءً للإيمان به، وذكر الأمّة المصريّة في أثناء الكلام على هذه القضيّة، ذكرًا قد تلوح منه العصبيّة، فهو القائل: (إذا ما

قلنا الأمة المصرية، فإنما نقصد بذلك إلى أدق معاني التخصيص بهذه الحلية القومية، حريصين على أن يفهم القارئ ذلك واضحًا، لا يسبق إلى وهمه منه ما يسبق عند ذكر الأمة العربية واللغة العربية، في اطلاقها المبهم الواسع. ولنحن أكثر حرصًا في الوقت نفسه على ألّا يدرك السامع مع هذا التخصيص أننا نضمر للعروبة شيئًا، أو ندعو لرأي بعينه في الوحدة العربية، كلا، فستعلم أننا إنما نقصد إلى تقدير اعتبارات فنية ومَلاحظ أدبية، تقضي علينا دقة البحث...إنما نقصد إلى القول الصُّرَاح في غير مواربة بأن العربية في مصر ليست إلّا عربية مصرية، إن لم تتميز مفرداتها وصيغها عن العربية المراكشية، أو العربية العراقية، أو غير هاتين، فلابد أن يتميز ذوقها ومزاجها الفني عن كل أولئك اللهجات)(١٦).

واضح أنّه أراد (أدقّ معاني التّخصيص)، ولمّا كان ذاك التّخصيص دقيقًا فقد بعُد معه المُراد وغمُض على المتلقي، بعدًا يبيح تعدد المحتمَلات. ولا شكّ في أنّ النّزعة القوميّة ممّا يُحتمل. فضلًا عن هذا قال بأنّ مصطلح الأمّة العربيّة مبهمٌ واسعٌ، ولعلّ في ذا إشارة إلى ما قصده من التّخصيص الذي يعالج ذلك الابهام وتلك السّعة، وأنّ الأمّة المصريّة ممّا يلزم خروجُه بالتّخصيص. وإخال أنّ قوله بالعربيّة المصريّة، يجعل دعوته إلى التّجديد غير شاملةٍ؛ لأنّها حينئذٍ تكون خاصّة بالمصريّة، فهي دعوةٌ إلى تجديد البلاغة المصريّة، وليست دعوةً لتجديد البلاغة العربيّة.

وتحسن الإشارة في هذا المقام إلى أنّ دعوته إلى العربيّة المصريّة محمولةٌ – بحسب ما يلوح – على جناح العصبيّة، التي لها وثيق الصّلة بالدّعوة إلى اللّهجة المصريّة بقوله: (إن التجديد الأدبي يرمي إلى غرضين: قريب، وبعيد: فالغرض القريب: هو تسهيل دراسة المواد الأدبية...وأما الغرض البعيد من التجديد في علوم الأدب أو علوم العربية، فهو أن تكون هذه الدراسات الأدبية مادة من مواد النهوض الاجتماعي تتصل بمشاعر الأمة وترضي كرامتها الشخصية وتساير حاجتها الفنية المتجددة. فتكون اللغة في مصر مثلًا لغة الحياة في ألوانها المختلفة، وأداة التفاهم المرضية في البيت والمعمل، والجامعة، والمسرح، والسوق، والنادي، وما إلى ذلك، فلا يعيش الناس بلغة، ويتعلمون لغة أخرى. ولا يفكر الناس بلغة، ويدونون أفكارهم بغيرها، ولا يتعاملون بلغة ويشعرون وينثرون، ويمثلون، ويخطبون بغيرها...ولا يتحقق هذا الغرض إلّا بتغيير قد يمس – أو لابد أن يمس – الأصول والأسس البعيدة، ويدخر له العزم والجهد)(١٧) .

الحقّ أنّي كلّما قال الخوليّ بالعربيّة، يتبادر إلى خلدي مصطلحه (العربيّة المصرية)، وما أشد قوله بصلة اللغة بكرامة الأمّة وشخصيّتها! فأيّ أمّة يريد؟ وبسبب هذا قيل أنّه دعا إلى العاميّة، غير أنّ دعوته تلوذ بالمداراة، وجاءت دعوته هذه مع دعوات أخرى صريحة، نظير ما قاله سلامة موسى الذي يعدّ من دعاة التّجديد، عن اللغة العربيّة الفصحى: (هذه اللغة لا تُرضي رجلًا مثقفًا في العصر الحاضر. إذ هي لا تخدم الأمة ولا ترقيها، لأنها تعجز عن نقل نحو مئة علم ...لذلك قلما نجد الشجاعة للدعوة إلى الاصلاح الجريء إلّا في رجال نابهين لا يبالون الجهلة والحمقى، مثل قاسم أمين أو أحمد أمين...أو مثل عبد العزيز فهمي حين يدعو إلى الخط اللاتيني، والواقع أن اقتراح الخط اللاتيني هو وثبة إلى المستقبل لو اننا عملنا به)(١٨).

ويتصلّ موقف الخوليّ المذكور آنفًا، بكلامه على إعجاز القرآن الكريم: (ماذا عسى أن يكون موقفنا من الكتاب الكريم وإعجازه وفنه؟ أترانا نأخذ في هذا الإعجاز بمذهب يردنا عن القول فيه، أو يسلمنا إلى إنكاره، أم نأخذ برأي يوجبه وينافح عنه؟ وإذا ما كان الأمر كذلك، فبأي هذه الأسلحة ننافح؟ أبالأسلحة الأولى مما حملته إلينا البلاغة القديمة، أم بأسلحة مستحدثة من هذا الفن القولي؟ أم ترانا نترك الرأي في هذا الإعجاز نفيًا وإثباتًا لأصحاب الدين المنفردين بذلك، ليقولوا فيه بما يشاءون من قديم إن اكتفوا به، أو جديد إن نشطوا إليه...؟...ونحن بهذا خلقاء أن نكشف وجه الرأي عن مسلكنا فيها...وأول القول في ذلك كله، أنا لن ننظر إلى هذا الكتاب نظرة لاهوتية، في لون من ألوانها، ولن نخشى من ترك هذه النظرة اللاهوتية خطرًا قريبًا أو بعيدًا، على عقائدنا أو عقائد الناس حولنا، فإن هذا الإعجاز الأدبي قد دفعه مسلمون، حين قالوا «بالصرفة»، ولم يقدح إنكار الإعجاز البلاغي في عقائدهم، ما داموا قد عرفوا وجهًا آخر له. وإذا كان الرأي الأدبي بعينه في تقدير القرآن، ليس مما يلزمنا عقيدة، ولا يتوقف عليه إيمان، فقد تحررت دراسة فن القول ومن كل ضغط لاهوتي، واسترحنا من كل شر ينجم عن مثل

هذا الضغط المحتكم، والتهديد بسطوته، أو استعمال رجال له، بحق أو باطل...وبقي بعد ذلك أن ننظر إلى فنية هذا الكتاب، من حيث هو كتاب العربية الأكبر، وأثرها الأشهر...لأن أبعد ما في الأمر هو إنكار الإعجاز البلاغي، بوجه أدبي وليس في هذا بأس...وبهذا الوجه من الرأي، نجد الإجابة عن كل ما أسلفت من الأسئلة، فليس لنا مع هذه الدراسة رأي بعينه في الإعجاز الأدبي نلتزمه، أو ننافح عنه)(١٩). لقد حرصت على إيراد هذا النّصّ على طوله، لأنّه فيصلٌ في الحكم على موقف الخوليّ من إعجاز القرآن الكريم البلاغيّ، وللرّجل رأيه، وللقارئ أن يرى رأيه مستعينًا بالنّصّ، وعلى الرّغم من قوله: (فليس لنا مع هذه الدراسة رأي بعينه في الإعجاز الأدبي نلتزمه، أو ننافح عنه)، أقول: له رأيٌ يفصح عنه ما تضمّنه النّصّ من قرائن أحسبها متبادرةً بأقلّ نظرٍ.

كما استهدف الخوليّ وصْلَ البلاغة بالحياة الاجتماعيّة وقضايا المجتمع، وذهب الخوليّ أيضًا إلى أنّ التّجديد في البلاغة يكفله طرحُ ما صُنِّف منها وكلَّ عن مجاراة التّطوّر في النّظر والإجراء، وحِفظُ ما قوي من ذلك إزاء ذلك الاطّراح، وتغييرُ الأفكار والأنظار الموروثة، وقراءتُها قراءةً أخرى؛ لأجل تغيير النّتائج الّتي أدّت إلى السّكون، كما أنّ الخوليّ حرص على هذه الرّؤية وآمن بها ودعا إليها، معضّدًا إيّاها بمنهج إجرائيّ قوامه وصفيّة البلاغة من جهة الوظيفة، وفكُّ إسارها من المعايير المقيّدَة للإبداع، ووسْم البلاغة بالسّمة الأدبيّة، وتحرّرها من السّمة الفلسفيّة، وأن تكون البلاغة نصّيّةً خطابيّةً أسلوبيّةً، ونزْع قيد الجملة الّتي استمدّت هيمنتها في البلاغة من المنهج الاتّباعيّ، هذا الّذي دعا إليه الخوليّ حسَنٌ لكنّه لا يستقلّ بنفسه؛ لأنّ ربط المفردات والجمل على أساسٍ من المعنى يقود إلى التّحليل الأسلوبيّ، ولقد أدرك الخوليّ هذا بقسمة البلاغة على لفظيّةٍ ومعنويّةٍ من دون الحاجة إلى القسمة الثّلاثيّة. ومحصول هذا أنّ التّجديد اضطرّه إلى القسمة، بيد أنّه قلّلها من ثلاثيّةٍ إلى ثنائيّةٍ، والحقيقة أنّ القسمة الثّنائيّة ليست من حسنات التّجديد؛ لأنّ القسمة الأقدم والأصل هي الثّنائيّة، وهذا السّكّاكيّ قال بالقسمة الثّنائيّة (علم المعاني وعلم البيان)، ولم يجعل البديع قسمًا معهما، وممّا يُلحظ أيضًا أنّ القسمة الثّلاثيّة أو السّكاكيّة الثّنائيّة، هي قسمة مباني الأسلوب والنّصّ والخطاب.

نحسب الخوليَّ الّذي رفع شعار(أوّل التّجديد قتل القديم فهمًا) بقوله: (سنحاول أن نمد البحث البلاغي الأدبي الفني، بما يعوض عليه هذا التخلف الذي قضى به عليه البحث الكلامي في البلاغة، فننتفع بالقديم من اللمسات الأدبية، على أساس لنا مقرر، هو أن أول التجديد قتل القديم فهمًا)(٢٠). يمكن أن يُلزَم بما ألزم به نفسه جرّاء استبعاده – على وفق نظره – بعض الموضوعات كالفصل والوصل وإبداله بموضوع رموز الضّبط والتّرقيم، بقوله في بابٍ عنوانه :(ثالثًا– في الفقرة: الترقيم اللفظي لجمل الفقرة[الفصل والوصل]، الضوابط الفنية لذلك): (وكنت هممت بأن أفرد كتابًا مستقلًا من كتب هذا المؤلف، بباب من الأبواب الكبار في هذا الدرس، كباب الفصل والوصل، وقد أشار القدماء بأهميته...فأتولاه ببيان مفصل، عن التخلية فيه ، والاستغناء عما لا يجدي، وثم التحلية له)(٢١).

وما الاحتكام وإيّاه إلى شعاره إلّا لصلة موضوع الفصل والوصل بالأسلوبيّة وتعالق المعاني، نعم، يمكن تهذيب المبحث ممّا شانه، كشبه كمال الانقطاع، يزيد على هذا جزئيّة هذا الباب من أسلوبٍ تركيبيٍّ لغويٍّ أصيلٍ غير طارئٍ هو العطف.

من نافلة القول: ممّن تأثّر بالدّعوة الخوليّة الدّكتور أحمد مطلوب فهو يؤيّد تغيير التّقسيم الثّلاثيّ، والعناية بالنّصّ، واستعمال الأسلوب الأدبيّ بدلًا من التّفلسف. والمأخذ على الدّكتور أحمد مطلوب مخالفةُ عملِه لقولِه، ونظرِه لإجرائِه، فهذا كتاب (البلاغة والتّطبيق) صعب الفهم على المتعلّم، مفعمٌ بالمصطلح التّقليديّ، ويستمدّ موضوعاته وشروحَه من كتب التّراث البلاغيّ والنّقديّ ذات الأسلوب الفلسفيّ، وحتّى شواهده في طرفٍ بيّنٍ منها، غيرُ حسنةٍ ولا جميلةٍ.

خلاصة فكرة التّجديد

١ – رأى دعاة التّجديد أنّ الجدّة في أنْ تُعنى البلاغة العربيّة بالفنون الأدبيّة الّتي ظهرت في العصر الحديث كالسّرد والمقالة والمسرحيّة وغيرها. وممّن دعوا إلى هذا أحمد الشّايب، وأن تكون هذه العناية بديلًا من التّقسيم إلى العلوم

الثّلاثة، غير أنّ هذا الأمر به حاجةٌ إلى نظر؛ لأنّ التّقسيم الثّلاثيّ ليس طارئًا بل هو جزءٌ من البناء الطّبيعيّ في الدّرس البلاغيّ، وليس أجنبيًّا عن الأسلوب، وعند التّحقيق في هذه العلوم الثّلاثة، نجدها منتميةً إلى نسقٍ واحدٍ لا يغادر اللّفظ والمعنى والتّركيب القائم عليهما، ومن الغريب أن يدعو أولئك الأدباء والنّقدة والأسلوبيّون إلى أنْ تتضمّن البلاغة الجديدة الوصف والرّثاء والسّرد والمسرح، ويرفضون اشتمال البلاغة على القسمة الثّلاثيّة الّتي تتضمّن الاستعارة والمجاز والخبر والإنشاء الطّلبيّ وفنون البديع ؟ ! فضلًا عن أنّ هاتيك الفنون الّتي دعوا إليها، محلُّها الأدب والنّقد.

٢ – الإيمان بالتّطوّر اللّغويّ ينسجم مع مراد الدّراسة الوصفيّة الّتي تبنّتها الأسلوبيّة وضرورة العدول عن مبدأ الاستقرار اللّغويّ المجانب للتّغيير، والحقّ أنّ مَن يقرأ التّراث لا يجد سبيلًا إلى مصداق هذا القول؛ لأنّ العربيّة شأنها شأن اللّغات الأخرى الّتي تضبطها قوانين، فهي ليست بدعًا من لغات الأمم، يزيد على هذا فإنّ اتّساع المعجم العربيّ، ومزيّة الاشتقاق وطرائق العدول والانزياح الّتي تقوم عليها مباحث التّشبيه والاستعارة والتّورية والكناية والمجاز، ومباحث علم المعاني، من تعريفٍ وتنكيرٍ، وحذفٍ وتقديمٍ وتأخيرٍ، وأضرب الخبر بلحاظ ذهن المخاطب، تشهد للعربيّة بالأخذ بأسباب التّطوّر اللّغويّ، أمّا تغيّر العربيّة بحسب سير الزّمان وما يحصل فيه من عوامل التّغيّر، فلا تختلف فيه عن نظيراتها من لغات العالم، ولا بدّ من إدراك أنّ التّغيّر اللّغويّ في اللّغة ليس أمرًا سريعًا ولا يسيرًا، بل يحدث على نحوٍ تدريجيٍّ طبيعيٍّ بحسب عوامل التّطوّر وسرعتها و قوّتها. من دون أن يمس أصولها وثوابتها التي بها جدواها الاجتماعية. ولابدّ من القول: إنّ القرآن الكريم واستناد المسلمين على الشّريعة، والحرص على أداء الفرائض، عزّز التّشدد في كثيرٍ من قضايا اللغة العربيّة، نحوا وتصريفًا ولغةً ودلالةً وتصويتًا. ومَن يقرأ آراء ابن جنّيّ يقف على مذهب اللّغويّين وإيمانهم بأنّ اللّغة تتأثّر بالمجاز، وأنّ أكثر حقائق اللّغة آتيةٌ من المجاز الّذي يأوول بالتّقادم إلى حقائق، قال ابن جنّيّ في باب (أن المجاز إذا كثر لحق بالحقيقة): (اعلم أن أكثر اللغة مع تأمّله مجاز لا حقيقة) (٢٢)، فضلًا عن أنّ تعريف اللّغة بأصواتٍ يعبّر بها كلّ قومٍ عن أغراضهم(٢٣)، يخلو من نفي التّطوّر اللّغويّ؛ لاختلاف قوم كلّ زمانٍ عن سواهم من أقوام الأزمنة الماضية والآتية، وتغيّر حاجاتهم بتغيّرهم وتغيّر أزمانهم، وما تعريف البلاغة ببعيدٍ عن هذا المبدأ، فهي مطابقة الكلام لمقتضى الحال مع فصاحته. ولا ريب في تبدّل الأحوال بتبدّل الأزمان والأقوام وأحوالهم العامّة. ومَن يطّلع على أحدث المناهج اللّغويّة ونظريّات اللّسانيّات، يجد قوانين البلاغة متوافرةً فيها، فليست أفعال الكلام ببعيدةٍ عن الخبر والإنشاء في البلاغة الموروثة، وليس الاستلزام الحواريّ ومبدأ التّعاون وقواعده بغريبين عن البلاغة الموروثة، ومثل هذا يقال في المعايير النّصّيّة.

٣ – العناية بالكلّيّات ونبذ التّجزيء، والانصراف إلى الأسلوب، وهجران الجملة، والخلاص من إسارها وقيودها، والارتفاع إلى الخطاب.

الرّأي بهذا الذي ذهب إليه الدّاعين إلى التّجديد، الإقرار بأنّ البلاغة العربيّة الموروثة ترزح بقيد الجملة الّتي ما بلغتها إلّا بعد جهدٍ على يدي عبد القاهر الجرجانيّ، بعد أن لبثت أحقابًا في قيد المفردة، وهذا الأمر التّجديديّ الذي صدر عنهم، حسنٌ ومرغوبٌ فيه بوصفه تجديدًا، وهو بعدُ نقدٌ صحيحٌ، بيد أنّ البلاغة الموروثة منوطةٌ بالسّائد يومذاك، فقد كان العرب يميلون في كلامهم إلى الإيجاز، ويعدّون البلاغة الإيجاز، بسبب الواقع الثّقافيّ والعلميّ والبيئيّ، والإيجاز يؤدّي إلى قلّة الكلام، ولمّا كان الكلام يتحقّق بتمام المعنى، صارت الجملةُ أقلّ مصداقٍ له، وصارت محلّ العناية، وقد مُدِح الشّاعر الّذي يقول البيت وأخاه، وقلّ عنه مَن يقول البيت وابن عمّه، كما أنّهم جوّزوا التّعبير عن الكلام بالكلمة، وما في الكتاب العزيز من فقراتٍ وجملٍ تبدو كلٌّ منها مستقلةً بمعنًى، ما هو إلّا مجاراةٌ للأسلوب السّائد في حينه، فضلًا عن أنّ ذلك الأسلوب منسجمٌ مع الذّوق العربيّ وحاجة العرب في التّعبير.

نقول هذا مع الإشارة إلى أنّ البلاغيّين والنّقدة عُنوا بالوحدة العضويّة وبالنّصّ، فهذا الحاتميّ(ت٣٨٨هـ) قال: (مَثَلُ القصيدة مثل الإنسان في اتصال بعض أعضائه ببعض فمتى انفصل واحد عن الآخر وباينه في صحة التركيب غادر الجسم ذا عاهةٍ تخونُ محاسنَه وقد وجدتُ حذّاق المتقدمين وأرباب الصناعة من المحدثين يحترسون في مثل هذه الحال احتراسًا يجنبهم شوائب النقصان ويقف بهم على محجة الاحسان حتى يقع الاتصال ويُؤمَن

الانفصال)(٢٤)، وكذلك فعل حازمٌ القرطاجنّيّ الّذي قسّم القصيدة على فصولٍ، وعند التوغّل في القصيدة الجاهليّة نجد مقدّمتها ترتبط بالغرض منها(٢٥).

٤ – اتباع المنهج الوصفيّ المرتكز على التّحليل واستنطاق النّصّ ولغته وتراكيبه؛ لأنّ التّحليل يعطي ثمراته في ميدان الجمال والفنّ والبراعة.

الذي نراه أنّ هذا الجانب من جوانب التّجديد المهمّة، يحلّ محلّ التّقنين والمدرسيّة والمعياريّة الّتي عانتها البلاغة العربيّة، واصطبغت بها وشغلت البلاغيّين واستحوذت على جهدهم، والتّجديد في هذا الأمر ينبثق عن الوعي بزمانيّة البلاغة والخطاب واللغة مع حفظ الثّوابت في الصّياغة اللّغويّة، ومن المهمّ التّنبيه على أنّ البلاغة العربيّة مرّت بمراحل الوصف الأسلوبيّ والتّحليل، ومن أعلى رموز هذا الاتّجاه عبدُ القاهر الجرجانيّ الّذي نهج نهجًا وصفيًّا تحليليًّا، ومن المفيد الإشارة إلى أنّ التّقعيد سمةٌ علميّةٌ والبلاغة علمٌ وفنٌّ أو هي علم الفنّ، وفنّ علميّ، فلا محيد عن القواعد المتوافرة في بنية الكلام المصوغ صياغةً فنيّةً بلاغيّةً، والمهمّ في الأمر أنّ الأحكام والقواعد أحكامٌ معدّةٌ يُحمَل عليها الإبداع، في الوقت الّذي تدعو الأسلوبيّة فيه إلى نبذِ هذا الإجراء وإبداله بالإمساكِ بالنّصّ وتحليله ووصفه.

٥ – من ضرورات التّجديد التّخلّصُ من الاتّجاه الفلسفيّ ولاسيّما الأرسطيّ وإجراءاته ومظاهره في القواعد والمصطلحات.

إنّ مَن يقرأ الدّراسات البلاغيّة والنّقديّة الموروثة يقف على ولعٍ مفرطٍ عند جمهورٍ من النّقاد والبلاغيّين بالفلسفة، ولا نبعد إن زعمنا أنّ الفلسفة باديةٌ عند عامّة البلاغيّين والنّقدة حتّى مَن عُدّ منهم ذا منهجٍ تحليليٍّ وصفيٍّ أدبيٍّ، وعلى الرّغم من ضرورة التّجديد في هذا الجانب لابدّ من الإقرار بأنّ الفلسفة قد منحت البلاغة منافع في التّعريفات والحدود والتّقسيمات المطلوبة وفي تنظيم المطالب وفي توخّي الصّحّة والاستقامة نزولًا عند مقتضيات اللّغة، ومن الحسنى الإشارةُ إلى أنّ غلبة الاتّجاه الفلسفيّ نشأ عن أنّ كثيرًا من البلاغيّين من غير العرب، وأنّ عددًا منهم لم يجتمعوا في بيئةٍ واحدةٍ أو مكانٍ واحدٍ، وأنّ كثيرًا منهم كانوا أولي فلسفةٍ وكلامٍ، من الجاحظ المعتزليّ، إلى قدامة بن جعفر المنطقيّ، إلى الجرجانيّ المتكلّم، والزّمخشريّ والسّكّاكيّ والتّفتازانيّ والعصام والإسفراييني وغيرهم.

٦ – التّجديد في مواطن الاهتمام، إذ أُوخذت البلاغة الموروثة على انصرافها إلى العناية بالشّكل من دون المضمون، والمراد بالشكليّة العنايةُ بالألفاظ والتّراكيب والصّياغة اللّفظيّة والمحسّنات، وأنّها لم تُعنَ بالمعاني، وهذا ما تأباه الدّراسة الأسلوبيّة الّتي يقترن فيها الشّكل بالمضمون ولا ينفصل أحدهما عن الآخر من دون إثرةِ أحدهما على الآخر، ولا ميلٍ نحو طرفٍ من دون صنوه.

الحقّ أنّ هذه المزيّة اتّسمت بها البلاغة المتأخّرة عندما غلبت المدرسيّة والمعياريّة على الدّراسات البلاغيّة، أمّا البلاغة المتقدّمة فقد منحت كلًّا حقّه، فهذا الجاحظ المتّهم بإعلاء شأن اللّفظ، يُبرّأ من هذه التّهمة بدراسة آرائه وبلوغ غاياته، ويتشبّث ناقدوه بقوله: (المعاني مطروحة في الطريق يعرفها العربيّ والعجمي والقروي والبدوي وإنّما الشأن في إقامة الوزن وتخيّر اللّفظ وسهولة المخرج وصحة الطبع وكثرة الماء وجودة السبك وإنّما الشعر صناعة وضرب من النسج وجنس من التصوير)(٢٦)، فالجاحظ قصد كلّيّة المعاني واستقلال التّركيب وطرائق التّعبير(الأسلوب)، فقد يتّحد الموضوع وتختلف أساليب التّركيب وطرائقه وأشكاله، وهنا تظهر البراعة والحذق، وإلّا كيف نفسّر قوله بالنّسج والسّبك على الرّغم من أنّ كلامه خاصٌّ بالشّعر وليس مطلقًا؟ يزيد على هذا قوله بالتّصوير الّذي هو تصوير المعاني الكامنة في الصّياغة اللّغويّة القائمة على طاقة اللّغة، وقال الجاحظ:(من أَرَاغَ معنًى كريمًا فليلتمِسْ له لفظًا كريمًا فإنّ حقّ المعنى الشّريفِ اللّفظُ الشّريف)(٢٧)، ولا شكّ في أنّ المراد بالكرامة والشّرفيّة التّأثيرُ والأصالة والإبداع، ويتّضح أيضًا قولُه بالانسجام بين الكريمين والشّريفين، وهذا جزءٌ من مبدأ القِران عنده، وشكيل هذا ما نجده عند قدامة بن جعفرٍ في مساواة اللّفظ للمعنى(٢٨)، وما نجده عند المرزوقيّ(ت٤٢١هـ) في شرحه ديوان الحماسة، وما أورده من عمود الشّعر، الّذي قوامه شرف المعنى وصحّته، وجزالة اللّفظ واستقامته، والإصابة في الوصف، والمقاربة في التّشبيه، والتِحام أجزاء النّظم والتئامها، على تخيُّرٍ من لذيذ الوزن، ومناسبة المستعار منه

للمستعار له، ومشاكلة اللّفظ للمعنى، وشدّة اقتضائهما للقافية، حتّى لا تكون منافرةٌ بينهما(٢٩).

٧ – التّجديد في الأسس، الّتي هي – في الأسلوبيّة – النّصّ الّذي تستكنُّ فيه مزاياه وخصائصه الّتي يجلوها تحليل لغته، فضلًا عن مبدأٍ أساسٍ آخر هو انتفاء السّمة في الخارج واستيطانها في داخل النّصّ، وهذا أشبه بما يُعبَّر عنه بموت الكاتب، يزيد على هذا أساسٌ آخر هو انتفاء الأحكام الثّابتة الّتي تسبق النّصّ.

هذا الذي رأه دعاة التّجديد، ملحظ خليقٌ بالعناية؛ ولكنّه متوافرٌ في البلاغة الموروثة، فهي تمسك بأسسٍ هي وحدة الموضوع المصطلح عليه، والتماسه وأداؤه على وفق قواعد وأحكامٍ سابقةٍ إيّاه. وأحسب هذا الأمر متوافرًا في الموروث البلاغيّ، وإنْ هو إلّا من نتائج الواقع الثّقافيّ السّائد يومذاك على الرّغم من أنّ المنهج التّحليليّ قد ظهر وبانَ وبسق فرعُه في القرن الخامس بحسب ما مضى من بيان.

خاتمة البحث ونتائجه:

إنّ أهم نتائج البحث هي :

١ – للعرب بلاغتهم ولغيرهم بلاغتهم، وتلتقي البلاغات، ويستقلّ كلٌّ منها بما له من مزايا.

٢ – البلاغة العربيّة بها حاجةٌ إلى التّجديد على وفق خطًى ثابتةٍ ومنهجٍ بنّاءٍ قويمٍ.؛ فليس كلّ تغييرٍ تجديدًا، بل من التّغيير ما يكون تقليدًا وإهلاكًا وتفريطًا وخسرانًا.

٣ – التّجديد نفسه عانى عثراتٍ منها العصبيّة، والتّأثّر غير المرغوب فيه بالمناهج والاتّجاهات الأجنبيّة.

٤ – لم تكن قراء الموروث البلاغيّ عند فريقٍ من دعاة التّجديد قراءةً وافيةً عميقةً صافيةً.

٥ – لابدّ من أن يكون التّجديد شاملًا عامًّا ابتداءً، ثمّ تأخذ البلاغة منه نصيبها.

٦ – الأسلوبيّة متوافرةٌ في البلاغة العربيّة توافرًا تاريخيًّا.

٧ –كان قيد الجملة نابعًا من طبيعة البيئة العربيّة؛ لأنّ العرب لم يكونوا أُولي كتابةٍ ووسائل تعليمٍ، فضلًا عن أنّهم رحّل، فحرصوا على الإيجاز؛ ليسهل استظهار ما به حاجة إلى ذلك، وأقصر تركيبٍ له معنًى تامٌّ هو الجملة؛ لذا طغت الجملة وقضاياها في درسهم.

الهوامش :

(١)الشّعر والشّعراء: ١/٦٣.
(٢) الذّخيرة في محاسن أهل الجزيرة: القسم الأوّل: ١٢–١٤.
(٣) دلائل الإعجاز: ٣٤.
(٤) الأقصى القريب :٦.
(٥) الأسلوب: ٣٦.
(٦) الأسلوب: ٣٧. وينظر : مناهج تجديد في النّحو والبلاغة والتّفسير والأدب: ٢٦٧و ٣٢٧.
(٧) ينظر: الأسلوب: ١٤.
(٨) منهاج البلغاء :٢٤٤.
(٩) ينظر: مفتاح العلوم: ٣٧.
(١٠) البيان والتّبيين: ١/٧٦.
(١١) البيان والتّبيين: ١/١١٥. وينظر: البلاغة العربيّة أصولها وامتداداتها :٤٧٨ .
(١٢) مناهج تجديد:١٢٨.
(١٣) تسمّى مدرسة الإحياء والبعث، التي من شعرائها أحمد شوقي وحافظ إبراهيم وعليّ الجارم وأحمد محرم والرّصافيّ. ينظر: الأدب العربي الحديث:٦٧. وينظر:الاتّجاهات والحركات في الشّعر العربيّ الحديث:٧٣.
(١٤) ينظر: مناهج تجديد: ٢٦٤. و البلاغة العصريّة :١٣٩، و١٥٨–١٥٩.
(١٥) ينظر: مناهج تجديد:٢٦٧ و ٣٢٧.
(١٦) فن القول: ٢١١.
(١٧) مناهج تجديد: ٢٦٤.
(١٨) البلاغة العصريّة واللغة العربيّة: ١٣٩. وينظر:١٥٩.
(١٩) فن القول: ٢١٧– ٢١٨.

(٢٠) مناهج تجديد: ١٢٨.
(٢١) مناهج تجديد: ٢٧٧.
(٢٢) الخصائص:٢/٤٤٩.
(٢٣) ينظر: الخصائص: ١/٣٤.
(٢٤) حلية المحاضرة:١/٢١٥.
(٢٥) ينظر: منهاج البلغاء:٢٨٧.
(٢٦) ينظر: الحيوان:٣/ ١٣١.
(٢٧) البيان والتّبيين:١/١٣٦.
(٢٨) ينظر: نقد الشّعر:٢٠٤.
(٢٩) ينظر: شرح ديوان الحماسة:١/ ٩.

مصادر البحث ومراجعه:

الاتّجاهات والحركات في الشّعر العربيّ الحديث، سلمى الخضراء الجيوسيّ، ترجمة عبد الواحد لؤلؤة، ط٢، نشر مركز دراسات الوحدة العربيّة، بيروت،٢٠٠٧م.
الأدب العربيّ الحديث، مسعد بن عيد العطويّ،ط١، ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م.
الأسلوب، دراسة بلاغيّة تحليليّة لأصول الأساليب البلاغيّة، أحمد الشّايب، ط٨، نشر مكتبة النّهضة المصريّة،١٤١١هـ-١٩٩١م.
الأقصى القريب في علم البيان، زين الدّين أبي عبد الله محمّد بن محمّد بن عمرو التّنوخيّ(من أعيان السّنة السّابعة)، ط١، مطبعة السّعادة بمصر، نشر مكتبة الخانجيّ، ١٣٢٧هـ - ١٩٠٩م.
البلاغة العصريّة واللغة العربيّة، سلامة موسى، الطّبعة المزيدة، نشر سلامة موسى للنّشر والتّوزيع، ١٩٦٤م.
البلاغة العربيّة أصولها وامتداداتها، محمّد العمريّ، نشر أفريقيا الشّرق، ١٩٩٩م.
البيان والتّبيين، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ(ت٢٥٥هـ)، تحقيق وشرح عبد السّلام محمّد هارون، ط٥، مطبعة المدنيّ .المؤسّسة السّعوديّة بمصر، نشر مكتبة الخانجيّ بالقاهرة ، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.
حلية المحاضرة في صناعة الشّعر، أبو عليّ محمّد بن الحسن بن المظفّر الحاتميّ (ت٣٨٨هـ)، تحقيق جعفر الكتانيّ، نشر دار الرّشيد، بغداد، ١٩٧٩م.
الحيوان، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ(ت٢٥٥هـ)، تحقيق وشرح عبد السّلام محمّد هارون، ط٢، مكتبة ومطبعة مصطفى البابيّ الحلبيّ وأولاده بمصر، ١٣٨٥هـ - ١٩٦٥م.
الخصائص، أبو الفتح بن جنّيّ(ت٣٩٢هـ)، تحقيق محمّد عليّ النّجّار، ط٤، دار الشّؤون الثّقافيّة العامّة، بغداد، ١٩٩٠م.
دلائل الإعجاز، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرّحمن الجرجانيّ النّحويّ(ت٤٧١هـ)، قرأه وعلّق عليه محمود محمّد شاكر، مطبعة المدنيّ، مكتبة الخانجيّ بالقاهرة، (د.ت).
الذّخيرة في محاسن أهل الجزيرة، أبو الحسن عليّ بن بسّام الشّنتريني، تحقيق إحسان عبّاس، دار الثّقافة، بيروت- لبنان، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.
شرح ديوان الحماسة، أبو عليّ أحمد بن محمّد بن الحسن المرزوقيّ(ت٤٢١هـ)،نشره أحمد أمين وعبد السّلام هارون، ط١، دار الجيل، بيروت ،١٤١١هـ - ١٩٩١م.
الشّعر والشّعراء، ابن قتيبة الدّينوريّ(ت٢٧٦هـ)، تحقيق وشرح أحمد محمّد شاكر، دار المعارف،١٩٦٦م.
فنّ القول، أمين الخوليّ، مطبعة دار الكتب المصريّة بالقاهرة، ١٩٩٦م.
مفتاح العلوم، أبو يعقوب يوسف بن محمّد بن عليّ السّكّاكيّ(ت٦٢٦هـ)، حقّقه وقدّم له وفهرسه الدّكتور عبد الحميد هنداويّ، ط٢، منشورات محمّد عليّ بيضون، دار الكتب العلميّة بيروت - لبنان ، ٢٠١١م.
مناهج تجديد في النّحو والبلاغة والتّفسير والأدب، أمين الخوليّ، ط١، دار المعرفة،١٩٦١م .
منهاج البلغاء وسراج الأدباء، صنعة أبي الحسن حازم القرطاجنيّ (ت٦٨٤هـ)، تقديم وتحقيق محمّد الحبيب ابن الخوجة، دار الغرب الإسلاميّ، ط٣، بيروت- لبنان، ١٩٨٦م.
نقد الشّعر، أبو الفرج قدامة بن جعفر(ت٣٣٧هـ)، تحقيق محمّد عبد المنعم خفاجيّ، دار الكتب العلميّة ، بيروت، (د.ت).

Al-Thakawat Al-Biedh Magazine

Website address
White Males Magazine
Republic of Iraq
Baghdad / Bab Al-Muadham
Opposite the Ministry of Health
Department of Research and Studies
Communications
managing editor
07739183761
P.O. Box: 33001
International standard number
ISSN 2786-1763
Deposit number
In the House of Books and Documents
(1125)
For the year 2021
e-mail
Email
off reserch@sed.gov.iq
hus65in@gmail.com

فصلية مُحكَمة تُعنى بالبحوث والدراسات العلمية والإنسانية والفكرية

العدد (١٨) السنة الخامسة رمضان ١٤٤٧ هـ آذار ٢٠٢٦م

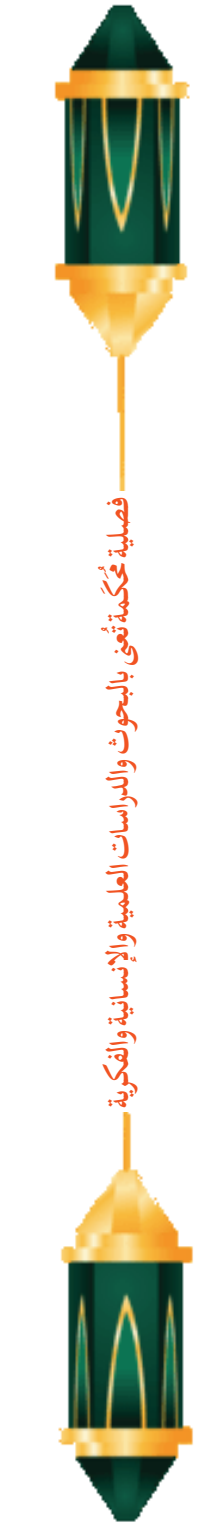

general supervisor

Ammar Musa Taher Al Musawi

Director General of Research and Studies Department

editor

Mr. Dr. fayiz hatu alsharae

managing editor

Hussein Ali Mohammed Al-Hasani

Editorial staff

Mr. Dr. Abd al-Ridha Bahiya Dawood

Mr. Dr. Hassan Mandil Al-Aqili

Prof. Dr. Nidal Hanash Al-Saedy

a.m.d. Aqil Abbas Al-Rikan

a.m.d. Ahmed Hussain Hai

a.m.d. Safaa Abdullah Burhan

Mother. Dr.. Hamid Jassim Aboud Al-Gharabi

Dr. Muwaffaq Sabry Al-Saedy

M.D. Fadel Mohammed Reda Al-Shara

Dr. Tarek Odeh Mary

M.D. Nawzad Safarbakhsh

Prof. Noureddine Abu Lehya / Algeria

Mr. Dr. Jamal Shalaby/ Jordan

Mr. Dr. Mohammad Khaqani / Iran

Mr. Dr. Maha Khair Bey Nasser / Lebanon